# الفصل الثاني

# الإطار النظري والدراسات السابقة

## ٢,١ المقدمة

تقدم الباحثة في هذا الفصل عرضا للإطار النظري وللدراسات السابقة، وسيكون الجزء الأول منه حديثا عن متغيرات الدراسة المتمثلة في الرواية الإماراتية بوصفها متغيرا تابعا، وفي التحولات الاجتماعية بوصفها متغيرا مستقلا. أما الجزء الثاني، فسيعرض الدراسات السابقة التي تناولت التحولات الاجتماعية والرواية بشكل عام، والرواية العربية والرواية الإماراتية.

## ٢,٢ الإطار النظري

تسعى الباحثة إلى الكشف في الرواية الإماراتية عن أنواع التحولات الاجتماعية عبر تصنيفها إلى تحولات اقتصادية، وتحولات عمرانية، وتحولات اليد العاملة، وتحولات مرتبطة بأنماط العلاقات الاجتماعية، وتحولات دور المرأة ومكانتها داخل الأسرة والمجتمع. وتعد هذه التحولات متغيرات مستقلة تؤثر في الرواية وتوجه اختيار موضوعاتها وأساليبها الفنية، فيما تعتبر الرواية الإماراتية متغيرا تابعا يتأثر بالواقع وما يمثله من تجارب إنسانية يعيشها الإنسان الإماراتي.

وفي هذا السياق، سيتم الحديث عن مفهوميْ التحولات الاجتماعية والرواية، وأهم ما طرح حولهما من قضايا.

### ٢,٢,١ التحولات الاجتماعية

يشكل مفهوم التحولات الاجتماعية مبحثا رئيسا من مباحث علم الاجتماع لعلاقته المباشرة بحياة المجتمعات. وقد تم طرح هذا المفهوم في إطار دراسة مفاهيم التغير الاجتماعي والتقدم والتطور والنمو، وهي مصطلحات متشابهة تتقارب في معناها، "تلك المصطلحات التي بدأ التمييز بينها وبين التغير في الدراسات الراهنة مع بداية هذا القرن، وإذا كان الخلط جائزا في عصور سابقة نظرا لعدم وجود دراسات علمية تبحث في ماهيته وعوامله واتجاهاته، فإنه أصبح من غير الممكن الاستمرار في هذا المنهج أمام التقدم في الدراسات الاجتماعية عموما". (استيتية، ٢٠١٤)

ويشير (غدنز، ٢٠٠٥) إلى أنه "من الصعب تعريف التغير الاجتماعي؛ لأن كل شيء في حياتنا، كما نعلم، عرضة للتغير المستمر على الدوام. فكل يوم في حياتنا يوم جديد، وكل لحظة تمثل حدثا مستجدا في العمر". ويعرف التحول الاجتماعي بأنه "تحول في البنى الأساسية للجماعة الاجتماعية أو المجتمع، ولقد كان التغير الاجتماعي ظاهرة ملازمة على الدوام للحياة الاجتماعية، ولكنها أصبحت أكثر حدة في العصور الحديثة خاصة".

وتعرف (استيتية، ٢٠١٤) التحول الاجتماعي "بأنه كل تحول يحدث في النظم والأنساق والأجهزة الاجتماعية، سواء كان ذلك في البناء أو الوظيفة خلال فترة زمنية محددة، ولما كانت النظم في المجتمع مترابطة ومتداخلة ومتكاملة بنائيا ووظيفيا، فإن أي تغير يحدث في ظاهرة لابد وأن يؤدي إلى سلسلة من التغيرات الفرعية التي تصيب معظم جوانب الحياة بدرجات متفاوتة".

وتناول (أبو النعناع، ٢٠١٧) مفهوم التحولات الاجتماعية باعتباره "كل ما يطرأ على البنيات والعلاقات والأدوار والتصورات والممارسات والعادات والقيم والمعايير التي يتكون منها النظام الاجتماعي من تحولات ظاهرة وجوهرية، نتيجة تفاعل عدد من المؤثرات والعوامل الداخلية والخارجية. وهي تحولات

يمكن ملاحظتها بصور مختلفة ومتنوعة، انطلاقا من متغيرات اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية وديموغرافية ومجالية محددة".

وفي جواب عن سؤال "ماهو التغير؟"، يقول (الجوهري، ٢٠٠٧): "التغير على مستوى الواقع الاجتماعي اليومي عملية مستمرة وماثلة في كل لحظة من لحظات الاجتماع الإنساني، فنحن مع كل ثانية تمر يتقدم بنا السن ونتغير جسمانيا وفكريا، ويتعين علينا لذلك أن نغير سلوك الأدوار التي نؤديها في المجتمع. وكل علاقة اجتماعية ندخل فيها مع أشخاص آخرين نحن نؤثر على هؤلاء الأشخاص، وهم بدورهم يؤثرون فينا، وجماعتنا الصغيرة تتغير بدورها: وفي لقائنا التالي سيكون لكل منا توقعات أخرى مختلفة عن توقعاتنا في المرة السابقة. ويؤدي تراكم آلاف هذه التغيرات التي تتم على المستوى الأصغر (الميكروسوسيولوجي) إلى إحداث تغييرات في الجماعات الأكبر التي تنتمي إليها تلك الجماعات الصغيرة. ولكننا لا نصف التغير الذي يحدث بأنه تغير في الجماعات الكبيرة إلا عندما يتغير البناء الأساسي لتلك الجماعة".

أما بالنسبة لمجتمعات الخليج، "فإن عملية اكتشاف النفط والبدء بتصديره كانت بمثابة نقطة البدء الأساسية لعملية التغير الاجتماعي الواسع، وبذلك فإن العوامل الاقتصادية كانت هي مفتاح التغير في المنطقة، رافقتها فيما بعد مجموعة الظروف الأخرى التي ساهمت في توسيع دائرة ومجالات التغير الاجتماعي". (الغانم، ١٩٩٨)

ومن أهم القضايا التي طرحت في دراسة التحولات الاجتماعية نظريات التغير الاجتماعي، وعوامل التغير الاجتماعي.

### ٢,٢,١,١ نظريات التغير الاجتماعي

اختلفت نظريات التغير الاجتماعي في تفسيرها للتحولات الاجتماعية بين نظريات تعتمد نموذج التوازن ونظريات تعتمد نموذج الصراع. أما نظرية التوازن، فهي التي "ترى أن التغييرات التي تحدث في أحد أجزاء النظام تؤدي إلى ردود فعل مغايرة في أجزاء أخرى، ويعود ذلك إلى التوازن، حتى لو كان ذلك التوازن نفسه متغيرا" (أوزبرن، ولون، ٢٠٠٥). وأما نظرية الصراع، فترى"أنه توجد في المجتمع صراعات مستمرة بين الحاكمين والمحكومين، وبين من يملكون ومن لا يملكون، وبين طبقتين أو عدد أكبر من الطبقات، وبين المستغلين والمستغلين (بكسر الغين الأولى وفتح الغين في الثانية)، ولهذا السبب يعيش المجتمع في حالة تغير مستمر". (الجوهري، ٢٠٠٧)

#### ٢,٢,١,١,١ النظرية التطورية

يرى أصحاب النظرية التطورية "أن المجتمعات تمر بأدوار تطورية ارتقائية، ويمكن أن نذكر منهم هربرت سبنسر الذي تصور تطور المجتمع على أنه انتقال من مجتمع بسيط وصغير في بنائه ووظائفه إلى مجتمع يتسم بالتباين والاختلافات على نطاق واسع (المجتمع المركب)، وصاغ في ذلك نظريته عن التطور فوق العضوي، وكذلك دارون صاحب نظرية "أصل الأنواع"، ومنهم أيضا لويس مورجان عالم الآنتروبولوجيا الأمريكي الذي صاغ نظرية تطورية لنمو الثقافة خلال مراحل ثلاثة هي: مرحلة الوحشية، ومرحلة البربرية، ثم مرحلة الحضارة أو المدنية". (عبد الجواد ١٩٨٢)

إن المجتمعات تتغير عبر إعادة توحيد تطور كل كائن فيه، فهو "يتطور ليس كمنظومة من الأجسام العاطلة *inertes* بل على غرار عضوية حية... إن المجتمع يتطور قياسا على نمو كل كائن حي، تبعا لمبادئ التكاثر والتمايز وإعادة توحيد الأجزاء". (كابان، ودورتيه، ٢٠١٠)

### ٢,٢,١,١,٢ النظرية الوظيفية

إن التحول الذي تعرفه المجتمعات متمثل وفق تصور النظرية الوظيفية في "أن جميع عناصر الحياة الاجتماعية المختلفة هي في حالة تفاعل مستمر مع بيئاتها الخاصة، وبطريقة قد تكون ظاهرة مقصودة أو كافية غير مقصودة، وهي تستجيب للمثيرات البيئية لكي تدعم الرفاهية العامة للنسق الاجتماعي ككل" (عودة، ١٩٨٧). و"ترى المدرسة الوظيفية أن المجتمع نظام معقد تعمل شتى أجزائه سويا لتحقيق الاستقرار والتضامن بين مكوناته" (غدنز، ٢٠٠٥)، و"تشدد على أهمية الإجماع الأخلاقي في الحفاظ على النظام والاستقرار في المجتمع، ويتجلى الإجماع الأخلاقي هذا عندما يشترك أغلب الناس في المجتمع في القيم نفسها. ويرى الوظيفيون أن النظام والتوازن يمثلان الحالة الاعتيادية للمجتمع، ويرتكز التوازن الاجتماعي على مجرد إجماع أخلاقي بين أعضاء المجتمع". (غدنز، ٢٠٠٥)

### ٢,٢,١,١,٣ النظرية الصراعية

تقوم نظرية الصراع على أن التحولات الاجتماعية تنتج عن الصراع انطلاقا من "أن المجتمع يتكون من جماعات متناحرة تمزقه ولا تؤدي أي وظيفة في الوئام الاجتماعي"، و"أن مجمل النشاط الاجتماعي ينصب على التقاتل على ملكية الأرض والمصادر والثروة ووسائل الإنتاج والمياه والعقارات والتعليم وما شابه ذلك" (أوزبرن، ولون، ٢٠٠٥). وبالتالي فإن الصراع "هو الميكانيزم الرئيسي الذي ينشط به المجتمع، ويعني أصحاب هذه النظرية بالصراع الاجتماعي مجالات واسعة ومتعددة من الحياة الاجتماعية هي دائما موضوع تنازع ونزال، القيم والمصادر الاقتصادية والمكانة الاجتماعية والسلطة والقوة، ويتجه الصراع إلى تحييد المنافسين أو إيذائهم أو حتى القضاء عليهم، إنه عملية اجتماعية شخصية واعية تحدث بين جماعات اجتماعية منظمة". (عودة، ١٩٨٧)

على أن نظرية الصراع هذه تختلف عن الصراع في الفلسفة الماركسية التي تعتبره صراعا طبقيا محركا للتاريخ، "إذ توسع هذه النظرية من مجال الصراع الاجتماعي، الذي تراه ممكنا في مجالات متعددة، الصراع العنصري أو الجنسي، والصراع الديني، والصراع السياسي، والصراع بين الأجيال، والصراع بين الذكور والإناث، والصراع بين التجار والعملاء، أو بين المنتجين والمستهلكين، وبين المدينة والريف، وغير ذلك من أشكال الصراع الاجتماعي المتعددة". (عودة، ١٩٨٧)

### ٢,٢,١,١,٤ النظرية التفاعلية

تنظر النظرية التفاعلية إلى التحولات الاجتماعية على أنها "تأتي من تأثيرات تجمع ناجم عن الاعتماد المتبادل أو تبادل التأثير بين الفاعلين، أكثر من التأثير الميكانيكي للعوامل المهيمنة أو من الصراعات ذات البنية المتصفة بلعبة ذات المحصلة صفر" (كابان، ودورتيه، ٢٠١٠). وبذلك يكون المجتمع "هو شبكة معقدة من الأفعال الفردية والتفاعلات بين الأفراد، وأن جميع هذه الأفعال والتفاعلات منظمة ومراقبة ومدفوعة بالعضوية الجماعية بما يترتب عليها من أدوار وتوقعات أدوار. ويستمر المجتمع في أداء مهامه وفي البقاء بسبب التنشئة الاجتماعية للناس حتى يصبحوا قادرين على مواجهة التوقعات". (عودة، ١٩٨٧)

### ٢,٢,١,٢ عوامل التحول الاجتماعي

صنف علماء الاجتماع أهم عوامل التحول الاجتماعي إلى عوامل بيئية، وعوامل اقتصادية، وعوامل ثقافية، وعوامل فكرية، وعوامل تكنولوجية، وعوامل ديموغرافية.

### ٢,٢,١,٢,١ العامل الطبيعي البيئي

تعني العوامل الطبيعية العوامل التي مصدرها البيئة الطبيعية، وهي عوامل تؤثر في تطور الحياة الاجتماعية وفي ظهور تحولات في مجالاتها المختلفة، حيث "تحدث البيئة أثرا كبيرا في تطور الحياة الاجتماعية ونظمها، فالناس في كل مكان عليهم أن ينظموا أنماط حياتهم وفقا لظروف الطقس وتقلباته. كما أن البيئة الفيزيقية هي التي تحدد أشكال النشاط الاقتصادي التي ينخرط فيها الناس، زراعة، أو رعيا أو تجارة" (استيتية، ٢٠١٤)، "فالعصور الجليدية والعصور بين الجليدية وفترات الجفاف الكبرى كانت تعمل على تضييق أو توسيع المجال الحيوي الذي يمكن أن يعيش فيه الإنسان. كما أن تغيير قطعان الأسماك الضخمة لمساراتها أو طرق هجرتها يضيع على سكان بعض الجزر غذاءهم الرئيسي، وقد يضطرهم إلى البحث عن مصادر جديدة للغذاء أو الموت جوعا. والملاحظ أن هذا النوع من الأحداث يؤثر في بادئ الأمر على الإطار الإيكولوجي للمجتمع، ثم يؤثر فيما بعد على العلاقات الاجتماعية فيه" (الجوهري، ٢٠٠٧). "وكلما أقبل الإنسان على الطبيعة وحور في شكلها ازدادت استفادته منها: فحفر بئر في صحراء كفيل بأن يحيل تلك البقعة إلى مكان محبب للإقامة والحياة، واكتشاف بئر بترولية قد يغير كثيرا من أوضاع الناس وظروفهم المختلفة، والحصول على مناجم غنية بالمعادن، كل ذلك يحدث تغيرا تلقائيا في المنطقة، ويؤدي إلى أنماط جديدة في حياة الأفراد". (عبد الجواد، ١٩٨٢)

### ٢,٢,١,٢,٢ العامل الاقتصادي

تعني العوامل الاقتصادية جميع ما يتصل بالجوانب المادية التي تخص مجتمعا ما، كنمط الإنتاج وأشكال التصنيع والتوزيع والاستهلاك، "والبناء الاقتصادي مسؤول عن التطورات والأحداث التاريخية، وعن توجيه عمليات التغير الاجتماعي في المجتمع" (فرح، ١٩٨٧). وقد يكون العامل الاقتصادي "ذا أهمية كبرى في

التعجيل بالتغير الاجتماعي، ولكنه ليس العامل الحتمي، لأن باقي عوامل التغير الاجتماعي تتفاعل معه لتغير المجتمع، خاصة إذا كان لقيم وثقافة المجتمع أهمية كبيرة من حيث درجة سيطرتها على التفاعل الاجتماعي، حيث إن التغير الاجتماعي الذي سيحدث في هذا المجتمع عليه أن يراعي قيم المجتمع وثقافته التي ستجدد أهمية باقي التغيرات". (استيتية، ٢٠١٤)

### ٢,٢,١,٢,٣ العامل الثقافي

يحدث التحول الثقافي نتيجة عوامل داخلية أو عوامل خارجية أهمها التواصل بين المجتمعات والهجرة ووسائل الاتصال المختلفة، حيث "يؤدي الاتصال بين المجتمعات دورا بالغ الأهمية في تنشيط العمليات الاجتماعية، وبالتالي يضفي بعدا ديناميا على البناء الاجتماعي القائم، إذ يتأثر هذا البناء بلا شك بالأفكار المستحدثة التي ترد إليه من الخارج، وتدفعه إلى وقفة تأمل ليتخذ بعدها قراره بالقبول أو الرفض" (استيتية، ٢٠١٤). "ويتمثل التغير الثقافي في الاختراعات والتجديدات التي تظهر في ميادين الفن، والتكنولوجيا، والفكر، والعلوم، والسياسة، والدين والأخلاق. والقاعدة عند حدوث اختراع معين أن بعض عناصره تكون موجودة فعلا، ولكنها ترتبط ببعضها وتأتلف على نحو جديد، وتجد استخدامات جديدة، أو ترتبط على نحو جديد ببعض العناصر الثقافية الأخرى. ولذلك تكثر الاختراعات والتجديدات الثقافية حيث تلتقي جماعات مختلفة، وحيث تتفاعل ثقافات كاملة مختلفة مع بعضها البعض". (الجوهري، ٢٠٠٨)

وتعد أنظمة الاتصالات عاملا "من العوامل الثقافية المهمة الأخرى التي تؤثر في طبيعة التغير وسرعته. إن اختراع الكتابة على سبيل المثال قد أفسح المجال لحفظ السجلات، وأتاح المجال لفرض المزيد من السيطرة على الموارد الطبيعية وتطوير التنظيمات والمؤسسات الضخمة" (غدنز، ٢٠٠٥). وتجدر الإشارة إلى أن بعض المختصين ينظر "للتغير الاجتماعي على أنه تغير ثقافي، ويطلق البعض مصطلح التغير الاجتماعي

الثقافي، وذلك باعتبار أن الحركة الدافعة لعملية التغير تكون عادة التغير الثقافي، بمعنى استحداث سمة ثقافية أو مركب ثقافيين جديدين"، "ويمكن القول بأن التغير الاجتماعي جزء من تغير أوسع وأشمل هو التغير الثقافي". (عبد الجواد، ١٩٨٢)

### ٢,٢,١,٢,٤ العامل الفكري

يرتبط العامل الفكري في عملية التحول الاجتماعي بالمذاهب الفكرية التي تسود في المجتمع، والتي يؤثر تعددها في عملية التغير الاجتماعي وفي أنماط حياة الأفراد فيه. "وتمارس السلطة في كل مجتمع إنساني فرض إيديولوجيا من خلال وسائل الإعلام المسخرة من أجل إحداث التغيرات في البيئة الاجتماعية وفي علاقاتها الاجتماعية" (عبد الحميد، ١٩٨٦). "وبطبيعة الحال فإن أي تغير يطرأ على أيديولوجية المجتمع لا بد وأن تنعكس على الظواهر والمؤسسات الاجتماعية، وبالتالي ينعكس على حياة الناس أنفسهم، ونظرتهم إلى المجتمع ونظرتهم إلى الحياة". (استيتية، ٢٠١٤)

### ٢,٢,١,٢,٥ العامل الديموغرافي

"يقصد بالعوامل الديموغرافية حجم السكان ومعدلات نموهم وهجرتهم وخصوبتهم إلى غير ذلك من العوامل الديموغرافية الأخرى" (استيتية، ٢٠١٤). ويربط العديد من الخبراء تقدم المجتمعات أو تخلفها بالحركة السكانية، وكثافة السكان وتوزيعهم داخل المجتمع، حيث إن "الزيادة في عدد السكان تؤدي إلى تقسيم العمل الاجتماعي، ومن ثم، يكون هناك تقسيم أو انتقال من التضامن الآلي إلى التضامن العضوي الذي يرجع إلى العامل السكاني" (سلمان، ١٩٨٥). "وينظر البعض إلى النمو السكاني باعتباره وسيلة من الوسائل الهامة في إحداث التغير الاجتماعي، وذلك في ضوء النظرة التي تربط بين نمو السكان وتوفر

القوى العاملة المولدة للثروة، وفي هذه الحالة ينظر إلى العنصر البشري بوصفه عنصرا أساسيا من عناصر الإنتاج". (استيتية، ٢٠١٤)

### ٢,٢,١,٢,٦ العامل السياسي

يسهم التنظيم السياسي في مجتمع ما في إحداث التغيير والتحولات المجتمعية المختلفة، "وبلغ هذا التأثير أدنى مستوياته في مجتمعات الصيد وجمع المحاصيل، إذ لم تكن ثمة سلطات سياسية قادرة على حشد الجماعات وتوجيه طاقاتها. وفي أنواع المجتمعات الأخرى جميعها، تقوم العوامل الفاعلة – مثل الزعامات والملوك والحكومات – بدور بالغ الأهمية في التأثير على مسارات النمو االتي قد يتخذها المجتمع". (غدنز، ٢٠٠٥)

وتختلف نسبة تأثير العامل السياسي حسب قوة النظام السياسي، "والتي غالبا ما تقاس بمدى شرعية النظام في إطار المشاركة السياسية، ودرجة فاعلية السياسات التي يضعها ومخرجات هذه السياسات بالنسبة للسكان، نقول إنه كلما حقق النظام السياسي درجة من القوة استطاع أن يكون فاعلا في إحداث التغيرات الداخلية وضبطها". (استيتية، ٢٠١٤)

### ٢,٢,١,٢,٧ العامل التكنولوجي

تعتبر الاكتشافات العلمية والتقدم في وسائل الاتصال مؤثرا قويا في التغير الاجتماعي، إذ "تنعكس على الأساليب الفكرية للناس وعلاقاتهم الاجتماعية، وتغير السلوك البشري" (كاظم، ١٩٩٣). "وكان للاختراعات الحديثة أثرها في إحداث تغيير كبير في المجتمعات الإنسانية، فالسيارة والمذياع أحدثتا من التغيرات الاجتماعية البارزة ما لا يخفى على أحد، ويخشى العلماء الاجتماعيون من رد فعل العوامل

التكنولوجية على إحداث تغييرات تهدد المجتمعات بمشكلات اجتماعية خطيرة كالجريمة والتشرد واهتزازات القيم والأخلاق، ولا شك أن هذا صحيح إذا أهملت المجتمعات إحداث تغيرات اجتماعية مقصودة لمواجهة ما تسببه التغيرات التكنولوجية، وهنا تظهر أهمية التخطيط الاجتماعي وطريقة تنظيم المجتمع لإحداث تغيرات اجتماعية ملائمة تعين على منع ظهور المشكلات الاجتماعية التي عانت منها أوروبا بسبب الثورة الصناعية. وقد أدت الاختراعات الحديثة إلى زيادة الاتصالات بين الشعوب وأدى ذلك إلى احتمال حدوث تغيرات اجتماعية بين المجتمعات بسبب هذه الاتصالات ونتيجة هذا التلاحم، وبذلك لم يعد من الممكن أن ينفصل مجتمع عن آخر، وبالتالي فإن أية تغيرات تحدث في أي مجتمع سيكون لها صدى وأثر في المجتمعات الأخرى". (استيتية، ٢٠١٤)

ويتجاوز تأثير العامل التكنولوجي الجانب الاقتصادي، "فالعلم والتقانة يؤثران في العوامل السياسية والاقتصادية ويتأثران بهما معا. إن التطورات العلمية والتقانية، على سبيل المثال، قد أسهمت في إيجاد أشكال الاتصال والتواصل الحديثة، مثل: المذياع والتلفاز، والهاتف الجوال، والإنترنت. وقد أحدثت وسائل الاتصال الإلكترونية هذه تغييرا في الأنشطة السياسية في السنوات الأخيرة، كما أن استخدامنا لوسائل الاتصال الإلكترونية مثل التلفاز والإنترنت قد أسهم في تشكيل تفكيرنا ومشاعرنا تجاه العالم". (غدنز، ٢٠٠٥)

### ٢,٢,٢ الرواية

ينطلق أصحاب الاتجاه الاجتماعي، في فهمهم للرواية، من العلاقة بين الإبداع الأدبي والواقع الاجتماعي، ومن كونها تنشأ تلبية لعدة تحولات جوهرية يعرفها الواقع الاجتماعي. ومن أهم القضايا التي

تم طرحها ومناقشتها في مجال الرواية علاقتها بالواقع، حيث اختلف النقاد في تحديدهم لنوع هذه العلاقة كل حسب الفلسفة التي يتكئ عليها.

### ٢,٢,٢,١ الرواية والواقع

أكد الفيلسوف الألماني هيجل اجتماعية الرواية وارتباطها بنشأة البورجوازية وبتطور الوعي الإنساني تجاه الكون والطبيعة، فهي "الفن الروائي الذي يتخذ السرد النثري وسيلة للتعبير عن انفصال الذات والواقع، أو تشخيص الهوة التراجيدية الموجودة بين الأنا والعالم... وقد أقر بأن الرواية ملحمة بورجوازية أو ملحمة عالم بدون آلهة، أفرزتها تناقضات المجتمع الرأسمالي". (حمداوي، ٢٠٠٧)

ويرى (لوكاتش، ١٩٨٥) أن الرواية ملحمة بورجوازية، وأنها "النوع الأدبي الأكثر نموذجية بالنسبة للمجتمع البرجوازي... من ناحية أخرى، فإن التناقضات الخاصة بالمجتمع البرجوازي (الرأسمالي) تم تصويرها في الرواية تحديدا على نحو أكثر وضوحا واتساقا. ومن هنا، فإن تناقضات المجتمع البورجوازي هي التي تمنحنا المفاتيح اللازمة لفهم الرواية باعتبارها جنسا أدبيا". أفرز المجتمع البورجوازي والثورة الصناعية من منظور لوكاتش فن الرواية، ولذلك سماها ملحمة البرجوازية التي عبرت من خلالها هذه الطبقة عن حياتها.

وفي السياق نفسه، يرى (كولدمان، ٢٠١٤)، في دراسته السوسيولوجية للرواية، أن هذا الفن الأدبي "قصة بحث عن قيم أصيلة وفق كيفية منحطة في مجتمع منحط"، وأنه "سيكون من الصعب أن نتخيل أنها قد ولدت ذات يوم من مجرد ابتكار فردي دون أي أساس في الحياة الاجتماعية للجماعة... يبدو لنا الشكل الروائي في الحقيقة على أنه نقلٌ إلى الصعيد الأدبي للحياة اليومية في المجتمع الفرداني وليد الإنتاج من أجل السوق". ويؤكد (آلن، ١٩٩٧) أن الرواية "نمط أدبي دائم التحول والتبدل... وكل عمل

روائي يجاهد بدرجات متفاوتة في قوتها ودقتها الفنية، لكي يعكس عملية التغيير الدائبة، بل وحتى الدعوة للتغيير في بعض الأحيان".

تفاعلت الرواية في نشأتها وفي تطورها مع السياقات الاجتماعية والشروط التاريخية، وارتبط فهمها بفهم حركية المجتمع وتحولاته، كما ارتبطت وظيفتها بنقل الواقع بتعدد طبقاته وأطيافه، فانفتحت بذلك على تعددية الأصوات والحوارية. يعرف (باختين، ١٩٨٨) الرواية بأنها "تنوع كلامي (وأحيانا لغوي) اجتماعي منظم فنيا وتباين أصوات فردية، والتفكك الداخلي للغة القومية الواحدة إلى لهجات اجتماعية وطرق تعبير خاصة بمجموعات معينة... هذا التفكك الداخلي لكل لغة في كل لحظة من لحظات وجودها الاجتماعي هو المقدمة الضرورية للجنس الروائي". ويقرر "في قراءته للروايات الأوروبية أنها أثر لنقد لغات القومية الحديثة للغة اللاتينية المسيطرة، بقدر ما هي مرآة لتفاعل هذه اللغات الحديثة وتفاعل الثقافات الملازمة لها". (سليطين، ٢٠١٢)

وفي إطار انفتاح الرواية على سياقات التحول والتغيير والتجدد، ترى نتالي ساروت أنه "إذا حدث أن قرأ هؤلاء (أي القراء أو النقاد) نصا جديدا، ولم يعثر على تلك المكونات التي تبدو لهم ضرورية في كل إبداع روائي، فإنهم يعتبرونه نصا مستهجنا ومخالفا للمألوف، واسمين إياه بالتجارب المخبرية التي لا يمكن أن تنتج آثارا فنية حقيقية مادامت لا تعكس ذلك الواقع المرئي والمبتذل الذي لا يستطيعون الاستغناء عنه". (كولدمان، ساروت، روب، مويلو، ١٩٨٨). ويذهب رولان بارت إلى أن الرواية قابلة للتكيف مع المجتمع، وأنها "تبدو كأنها مؤسسة أدبية ثابتة الكيان، فهي الجنس الأدبي الذي يعبر، بشيء من الامتياز، عن مؤسسات مجموعة اجتماعية، وبنوع من رؤية العالم الذي يجره معه، ويحتويه من داخله". (مرتاض، ١٩٩٨)

تمثل الرواية، وفق النظريات السابقة، نوعا من أنواع الوعي بالتاريخ، واستجابة للتحولات الاجتماعية المستجدة، وفي ذلك يقول محمود أمين العالم: "فالرواية بحق هي البنية الأدبية الزمنية الإبداعية، المعبرة بلغتها السردية عن الوعي التاريخي المعرفي الوجداني القيمي بهذه المراحل التاريخية الجديدة، بكل ما يتسم به هذا الوعي التاريخي من اتساع وعمق وتراكم والتباس وإشكالية، وتأزم وتطلع ومواقف ودلالات مختلفة". (العالم، ١٩٩٣)

## ٢,٣ الدراسات السابقة

تتبعت الباحثة في هذا الجزء ما تم دراسته من قبل الباحثين في الدراسات السابقة التي تناولت متغيرات الدراسة، وهي التحولات الاجتماعية والرواية، وستقوم بعرض هذه الدراسات على النحو التالي:

### ٢,٣,١ التحولات الاجتماعية

تناولت دراسة الشيخ (٢٠٢١) المعنونة "اتجاهات أدب الحداثة في الإمارات العربية المتحدة" موضوع التحولات الاجتماعية في الإمارات، حيث أكدت أنه "كان للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية في الإمارات العربية في الستينات والسبعينات آثار كبيرة في تطور البلاد وتغيرها، ووافق ذلك تطور في أساليب الحياة، وتطور التفكير الحضاري...التركيبة السكانية وأوجاعها والخلل الناجم عنها وما حملته من مشاعر الاغتراب لدى البعض، والعمالة الوافدة ومشكلاتها، والظواهر الاجتماعية السلبية مثل الزواج من أجنبيات والمربيات الأجنبيات والخدم واللغة الهجين التي بدأت تظهر في البلاد والطلاق والخيانة الزوجية والهجر والعنوسة والأزمات الأخلاقية التي تعصف بالأفراد في مراحل الحياة المختلفة، ومظاهر أخرى بدا أنها رثاء لعالم قديم ينهار وخوف وقلق من عالم جديد يتشكل".

وتتبعت المعمري (٢٠٢٠) التحولات الاجتماعية في الرواية الإماراتية، بعد الحديث عن المجتمع الإماراتي قبل النفط، وعن المشهد الاجتماعي الجديد، وأشارت إلى أن "كل هذه التغيرات التي أثرت على المجتمع قام الفرد الإماراتي بإسقاطها في الرواية الإماراتية؛ فنجدها وقد تجلت في تفسير تطور القضايا التي يناقشها السرد الإماراتي، حيث هذا التغيير في الشكل والمضمون التاريخي والاجتماعي واكبته الرواية الإماراتية فصورت وبدقة تعابيرها صوة ارتباط الحاضر بالماضي، وصور السرد الإماراتي أيضا ارتباط المدينة الحديثة بالقديمة... ففي رواية "طروس إلى مولاي السلطان"، نلحظ الأجيال المتعاقبة والتدرج التاريخي الذي ينتقل بأسرة عتيج من الخضراء إلى عجمان... وفي هذا التسلسل تعبر الساردة عن الكثير مما رافق رحلة التحول هذه، وعلى غرارها نجد الروايات التي تناولت فترة طويلة من الوطن مثل زمن السيداف أيضا".

وأكدت سلمان (٢٠١٨) أن "التغيرات التي تعرضت لها البنية الاجتماعية أثرت على البنية الطبقية وأنماط العلاقات الاجتماعية والأسرية وأنساق التفاعل الاجتماعي، وكذلك منظومة القيم الاجتماعية بما تتضمنه من عادات وتقاليد وأعراف ومبادئ وأخلاقيات، وتنعكس تلك التغيرات على أنماط السلوك الإنساني المختلفة سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة".

كما أشار مفتاح (٢٠١٧) إلى التحولات الاجتماعية على أنها "التغيرات التي حدثت في المجتمع والرغبة في التغير وتحقيق سبل المشاركة تتطلب تغيرا في القيم والمعايير التقليدية، وبمواكبة التغيرات المجتمعية وانتقال المجتمع من الشكل التقليدي إلى المجتمع الأكثر تحضرا؛ حيث شهد النظام الاجتماعي للأسرة تحولا وتغيرا بنائيا ووظيفيا، لعل من أبرزها الانتقال من نمط الأسرة الممتدة إلى نمط الأسرة النووية، وتعليم المرزة وخروجها للعمل، وتحول القيم والمعايير التي تشكل التفاعل والمشاركة الاجتماعية الأسرية".

أما دراسة آل علي (٢٠١٧)، فقد ركزت على إجماع علماء الاجتماع على "أن التغيير الاجتماعي هو أهم ما ميز المجتمعات البشرية لارتباطه مباشرة بفلسفة التأثير على السلوك الفردي والجماعي وعلى

العلاقات الاجتماعية المختلفة وفق آليات تبرز مدى قدرة المجتمع على خلق ديناميكية تغيير اجتماعي يحفظ مصالح أفراده ومؤسساته".

### ٢,٣,٢ الرواية

أما المحور الثاني، فقد تناولت فيه الباحثة ما يخص الرواية في دول الخليج وفي الإمارات، وتتبعت حضور هذا الفن الأدبي في الدراسات السابقة على النحو التالي:

#### ٢,٣,٢,١ الرواية بشكل عام

تناولت المعمري (٢٠٢٠) الرواية على أنها غالبا ما تقدم "لنا مفارقات الحياة من خير وشر، أو جمال وقبح، أو صناعة الحلم وضياعه.. وغيرها من المفارقات التي تكشف المستور في لعبة السرد بحيث تسلط الضوء على القبائح من ظلم وعنف وشر كما ترينا الجانب الآخر من نور وعدل وخير، معتمدة في ذلك على العناصر التي تبنى عليها الرواية من شخصيات وحبكة وعقدة وحوار وزمان ومكان".

وركزت دراسة الكعبي (٢٠٢٠) على المرجعيات الثقافية في الرواية ومنها المرجعية الاجتماعية "فالرواية منذ نشأتها اهتمت بتصوير حياة الفرد ورصد مختلف المظاهر الاجتماعية، والمرجعية الاجتماعية تعد أحد أبرز المواد الملهمة في بناء الخطاب الروائي، والتي تتمثل في العودة إلى البيئة الاجتماعية والاستلهام من مادتها".

وأشار الدواس (٢٠١٩) إلى أن "التطور الذي أحدثه ظهور الرواية لا يقل عن ذلك الصوت المعبر عن متطلبات الإنسان الذي أحدثه ظهور عالم الصحافة، وتلبيتها حاجات الناس المادية والمعنوية، مما جعل الدراسات التحليلية التي تظهر بين الحين والآخر حول الروايات وتفحص موضوعاتها، ضرورة تحتمها

حركة المجتمع، من أجل بلوغ أهدافه، التي لا تتحقق إلا بوجود محرك يلهب الحماس تارة، وتارة أخرى يحدد ما يعوق ذلك الحماس الذي يعني الرغبة في التطور ومواكبة التحولات".

أما دراسة ربيع (٢٠١٨)، فقد طرحت نظرية لوكاتش التي تنظر إلى الرواية أنها الفن "الذي باستطاعته التعبير عن المجتمع الرأسمالي الحديث، وما يعرفه من تشيؤ وغربة واستلاب، فلهذا عرف الرواية باعتبارها (ملحمة بورجوازية)، لتصويرها لهذا الإنسان المتأزم وما يعيشه من ضياع وتشتت في ظل هذا المجتمع المنهار".

وأشارت دراسة حريزي (٢٠١٩) إلى الرواية بوصفها "من أهم الأشكال السردية التي حظيت بالعديد من الدراسات ولا تزال محل اهتمام النقاد والباحثين، كونها تمثل سجل المجتمع البشري، ومرآة عاكسة للواقع وأزماته، حيث يتطرق الروائي المبدع لمعالجة القضايا التي شغلت المجتمع سواء أكانت اجتماعية أو نفسية، سياسية أو تاريخية، بأسلوبه الفني الخاص".

### ٢,٣,٢,٢ الرواية عند العرب

تناولت الدراسات السابقة الرواية عند العرب انطلاقا من اختلاف النقاد بين التأصيل والتقليد في دراسة نشأتها، وإلى ذلك أشارت دراسة بوشامة وأونيسي (٢٠٢٠): "فمنهم من يجعلها امتدادا لجذور أدبية عربية خالصة، ويربطها بالمقامة والحكايات الشعبية فضلا عن ترجمة الأدب العربي القديم قصصا هندية وأخرى فارسية كما فعل ابن المقفع في "كليلة ودمنة"... في المقابل، ذهب آخرون إلى أنها وليدة الأدب الغربي، جاءت بشكل جديد ليتفق وروح العصر الحديث ويشبع احتياجات حديثة".

وأكدت دراسة حريزي (٢٠١٩) كذلك تأثر الرواية العربية بالغرب: "وكان التأثر واضحا في مختلف المستويات، فكانت الرواية نمطا جديدا للكتابة عند العرب ومدخلا من مداخل العرب إلى الثقافة الغربية، فالرواية العربية ما هي إلا انعكاس ظل واضح للرواية الغربية".

وفي السياق نفسه، أكدت بن صالح (٢٠١٧) أن هذا الصراع كان "بداية المرحلة التأسيسية لنشأة الرواية العربية المعاصرة، وهي عبارة عن استلهام التراث وتوظيفه، والاحتذاء بالنماذج الروائية الغربية. ومن جانب آخر، هناك عوامل أخرى كان لها دور بارز في تطوير الرواية العربية المعاصرة كالطباعة والصحافة والترجمة، وبروز الطبقة الوسطى على ساحة المجتمع، التي تضم المثقفين والقراء، وثورات التحرر الوطني، فقد ذكر أن نشأة الرواية العربية المعاصرة مرتبطة بالتمدن والتحضر، وبروز الطبقة الوسطى".

وأشارت دراسة غالية (٢٠١٨) إلى ارتباط الرواية العربية بالواقع: "لقد أصبح الخطاب الروائي العربي في العصر الحديث ديوان العرب؛ لأنه يحوي حياتهم بكل أبعادها ومجالاتها؛ ولأنه كذلك قراءة صادقة لواقع المجتمع العربي، من خلال صد أزماته ومعالجتها وفق منظور حداثي".

### ٢,٣,٢,٣ الرواية في الخليج العربي

ناقشت دراسة أصواب الله (٢٠١٩) نشأة الرواية الخليجية بقولها: "وقد كانت الرواية الخليجية منذ ظهورها تعالج هموم الإنسان والمجتمع في محيطها وقضاياها، شأنها شأن الرواية العربية خاصة والرواية العالمية عامة، فهي من حيث مضامينها تمثيل اجتماعي يرصد التغير الذي طرأ على مجتمعها وأثرها على سلوك أبنائها أو مجتمعها... فظاهرة الطفرة الاقتصادية التي بدأت منذ السبعينيات، وأسهمت في هذا التحول الكبير في شتى جوانب الحياة الخليجية، ومنها الحياة الأدبية بالانتقال من دور البداوة والريفية إلى الحياة العصرية بتعقيداتها، كان ملمحا بارزا متمثلا في الرواية الخليجية إلى حد كبير، ونتجت عن هذه التحولات

ظاهرة الصراع الاجتماعي الثقافي بين القيم والعادات التقليدية السائدة اجتماعيا في فضائها الثقافي المغلق على نفسه، وبين قيم الانفتاح والتواصل مع الآخر في مجتمع يعيش حياة جديدة ومختلفة بتعقيداتها وبهرجها ويعيش في ذات الوقت سياق المجتمع المحكوم بقيم اجتماعية وثقافية مختلطة".

وتشير دراسة شواخ (٢٠١٨) إلى الفكرة نفسها: "والرواية في منطقة الخليج عموما، وفي الإمارات خصوصا نشأت متأخرة مقارنة بالبلدان العربية الأخرى كمصر وبلاد الشام، ولم تستطع الرواية تشكيل حضورها أمام حركة الشعر في منطقة الخليج؛ لأن الحياة الصحرواية يتناسب معها الشعر أكثر من الفنون الأدبية الثانية".

**٢,٣,٢,٤ الرواية في الإمارات**

طرحت المعمري (٢٠٢٠) في دراستها علاقة الرواية الإماراتية بالواقع قائلة: "عكست الرواية الإماراتية التنوع الثقافي الوارد في هذا المجتمع، فكل كاتب ما هو إلا نتاج حقبة زمنية وتاريخية معينة رغم تقارب الأزمان؛ لذا نجدهم قد وفقوا في كتاباتهم السردية وعرضهم للواقع الثقافي في المجتمع".

وكزت دراسة يحياوي (٢٠٢٠) على الفكرة نفسها: "وقد استطاعت الرواية الإماراتية أن تنقل قضايا اجتماعية وثقافية وسياسية من الواقع، كما عالجت موضوعات اجتماعية حساسة في المجتمع الخليجي كمشكلة تعليم المرأة، وتعدد الزوجات، والاغتراب، والهجرة". كما أشارت إلى اختلاف المجتمع الإماراتي في التعامل مع التحولات الاجتماعية: "وقد تدرج الروائيون في طرح هذه القضايا الاجتماعية انطلاقا من الأسرة باعتبارها أهم لبنة في المجتمع، وذلك وفق محورين رئيسين هما: شخصيات خاضعة وراضخة لحتمية تقاليد المجتمع الإماراتي، وشخصيات رافضة نادت بضرورة التغيير الاجتماعي والتحرر من التقاليد الجامدة.

وبين المحافظة والتحرر تولد صراع بين جيل الآباء وجيل الأبناء، وبين قيم الماضي والحاضر، وكلها تحولات فرضتها الظروف الاقتصادية والثقافية للبلد". (يحياوي، ٢٠٢٠)

وتتبعت أصواب الله (٢٠١٩) تطور الرواية في الإمارات: "شهدت الرواية الإماراتية، شأنها شأن الرواية في الخليج عموما، تغيرات عدة في مسار نشأتها وتأخر ظهورها، حيث لم تستطع كجنس أدبي أن تشكل حضورا أمام حركة الشعر والقصة القصيرة، وتشير جميع الدراسات إلى أن رواية (شاهندة) للكاتب راشد عبد الله، هي الرواية الرائدة في دولة الإمارات، وظلت روايته الشاهد الوحيد على مبادرته، التي نشرت بعد قيام دولة الاتحاد، أي قبل عام ١٩٧١، ثم أعاد نشرها عام ٢٠١٢، وكتب محمد غباش روايته الأولى، ولكنه أيضا لم ينشرها، وكانت تحمل التسلسل الثاني على صعيد الرواية في الإمارات، ثم جاءت محاولات على أبو الريش، ومحمد علي راشد وآخرون، وما تزال الأسماء الشابة في ظهور وتنام في الساحة الأدبية الإماراتية الحالية، دليلا على الحضور الفاعل للرواية الإماراتية".

أما دراسة شواخ (٢٠١٨)، فقد طرحت موضوع قلة الإصدارات الروائية للروائي الواحد في الإمارات "ومع بروز هؤلاء الروائيين، نلاحظ أيضا شحا في الإنتاج من الكتاب الذين يغلب عليهم إصدار رواية واحدة ثم السكوت المطبق بعدها، أي أحدهم ينتج نصا روائيا واحدا ثم يصمت عن الإنتاج الروائي. ونحن ان استثنينا الروائي علي أبو الريش الذي أنتج إحدى عشرة رواية، لاحظنا أن معظم الكتاب من الروائيين الإماراتيين من أصحاب الرواية الواحدة".

### ٢,٣,٣ التعليق على الدراسات السابقة

من خلال تتبع الدراسات السابقة، تبين أنه لم تتناول دراسة منها الرواية الإماراتية من خلال ما تعكسه من تحولات اجتماعية، إذ كان بعضها يركز على تتبع تاريخ تطورها، وبعضها الآخر يبحث في

التنوع الثقافي الذي يمثل جزءا فقط من التحولات المجتمعية، وتناولت دراسات أخرى جوانب محددة أيضا، كصورة المرأة في الرواية الإماراتية، وصورة الرجل وصورة الآخر فيها. ومنها ما جاء بحثا جزئيا في إطار دراسة الرواية الخليجية عامة. كما لم تتناول الدراسات السابقة موضوع التحولات الاجتماعية باعتماد نظريات ومناهج نقدية، بل تتبع أغلبها التحولات بآليات المنهج التحليلي الوصفي. وبذلك ظهرت بعض الفجوات أو الأسئلة التي لم يتم طرحها أو الاجابة عنها، والتي تسعى هذه الدراسة إلى الإحاطة بها، من قبيل اختلاف زاوية نظر الروائيين في طرح موضوع التحولات الاجتماعية وفقا لجنس الروائي وتخصصه الأكاديمي والجيل الأدبي الذي ينتمي إليه وتشكل فيه وعيه ورؤيته للعالم.

يمثل موضوع الدراسة بشكل عام نقطة التقاء بين بعض الدراسات السابقة التي تعد في أصلها قليلة جدا، وظهرت فيها بعض الفجوات أو الأسئلة التي لم يتم طرحها أو الاجابة عنها، وستسعى هذه الدراسة إلى الإحاطة بها من قبيل اختلاف زاوية نظر الروائيين في طرح موضوع التحولات الاجتماعية وفقا لجنس الروائي وتخصصه الأكاديمي والجيل الأدبي الذي ينتمي إليه وتشكل فيه وعيه ورؤيته العالم. كما ستعتمد الدراسة في إطار التحليل أدوات بعض المناهج النقدية التي تفسر العمل الأدبي في سياقه الاجتماعي والثقافي والتاريخي، وهو ما لم تعتمده الدراسات السابقة.

وتبقى الدارسة الأقرب لعنوان البحث هي رسالة الدكتوراة المعنونة "التنوع الثقافي وتجلياته في السرد الإماراتي– الرواية نموذجا" للباحثة فاطمة المعمري، فقد تتبعت فيها السرد الروائي الإماراتي لتقف فيه على التحول من المجتمع التقليدي إلى المجتمع المدني، "وكل هذه التغيرات التي أثرت على المجتمع قام الفرد الإماراتي بإسقاطها في الرواية الإماراتية؛ فنجدها وقد تجلت في تفسير تطور القضايا التي يناقشها السرد الإماراتي حيث هذا التغيير في الشكل والمضمون التاريخي والاجتماعي واكبته الرواية الإماراتية، فصورت وبدقة تعابيرها صورة ارتباط الحاضر بالماضي". (المعمري، ٢٠٢١)

ولذلك، تمثل الدراسة إضافةً للبحث النقدي، حيث تساهم من الجانب المنهجي، ومن خلال اعتمادها آليات المنهج النوعي ووسائل الوصف والتفسير والتحليل، وأدوات المناهج النقدية الأدبية في توفير معرفة علمية للظواهر الاجتماعية في الرواية الإماراتية.

إن معرفة الإطار العام للدراسة والاطلاع على نظريات التغير الاجتماعي وعوامل التحول المجتمعي، وكذا معرفة النظريات والفلسفات التي فسرت علاقة الرواية بالواقع وتتبع الدراسات السابقة وفر فهما لخصوصية الرواية الإماراتية وتميزها بالطرح الفني التخييلي لموضوع التحولات الاجتماعية حتى في الأعمال التي اختارت التجريب وتكسير النمط التقليدي في السرد. وقد حقق هذا الإطار رؤية واضحة للمنهجية التي سيتم اعتمادها في الدراسة متمثلة في المنهج الوصفي التحليلي وفي مناهج النقد الأدبي التي اختارت منها الباحثة المنهج البنيوي التكويني، والمنهج الثقافي، والنقد الجندري، ونقد ما بعد الاستعمار في تحليل البنيات الداخلية للنصوص وربطها ببنياتها الخارجية سواء منها التاريخية أو الاجتماعية أو ما يتعلق فيها بالأنساق الثقافية. كما فرض هذا الإطار اختيار عينة الدراسة ومصادرها متمثلة في الروايات الأربع التي كتبها كتاب إماراتيون تختلف أعمارهم وأجيالهم الأدبية وانتماءاتهم الجغرافية داخل الإمارات.